

فتح القدير

19 - { والذين آمنوا باٍ ورسله } جميعا والإشارة بقوله : { أولئك } إلى الموصول وخبره قوله : { هم الصديقون والشهداء } والجملة خبر الموصول قال مجاهد : كل من آمن باٍ ورسله فهو صديق قال المقاتلان : هم الذين لم يشكوا في الرسل حين أخبروهم ولم يكذبوهم وقال مجاهد : هذه الآية للشهداء خاصة وهم الأنبياء الذي يشهدون للأمر وعليهم واختار هذا الفراء والزجاج وقال مقاتل بن سليمان : هم الذين استشهدوا في سبيل اٍ وكذا قال ابن جرير وقيل هم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة لأنبيائهم بالتبليغ والظاهر أن معنى الآية : إن الذين آمنوا باٍ ورسله جميعا بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الدرجة عند اٍ وقيل إن الصديقين هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا باٍ وصدقوا جميع رسله والقائمون بـ سبحانه بالتوحيد ثم بين سبحانه ما لهم من الخير بسبب ما اتصفوا به من الإيمان باٍ ورسله فقال : { لهم أجرهم ونورهم } والضمير الأول راجع إلى الموصول والضميران الأخيران راجعان إلى الصديقين والشهداء فالضمائر الثلاثة كلها راجعة إلى شيء واحد والمعنى : لهم الأجر والنور الموعودان لهم ثم لما ذكر حال المؤمنين وثوابهم ذكر حال الكافرين وعقابهم .

فقال : { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا } أي جمعوا بين الكفر وتكذيب الآيات والإشارة بقوله : { أولئك } إلى الموصول باعتبار ما في صلته من اتصافهم بالكفر والتكذيب وهذا مبتدأ وخبره { أصحاب الجحيم } يعذبون بها ولا أجر لهم ولا نور بل عذاب مقيم وظلمة دائمة .

وقد أخرج ابن مردويه عن أنس عن النبي A قال : [استبطناً اٍ قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن فأنزل اٍ] : { ألم يأن للذين آمنوا { الآية] وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت : [خرج رسول اٍ A على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمرا وجهه فقال : أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بأنه قد غفر لكم ولقد أنزل علي في ضحككم آية { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اٍ } قالوا : يا رسول اٍ فما كفارة ذلك ؟ قال : تكون بقدر ما ضحكتم] وأخرج مسلم والنسائي وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا اٍ بهذه الآية { ألم يأن للذين آمنوا } إلا أربع سنين وأخرج نحوه عنه ابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق أخرى وأخرج أبو يعلى وابن مردويه عنه أيضا قال : لما نزلت هذه الآية أقبل بعضنا على بعض : أي شيء أحدثنا أي شيء صنعنا ؟ وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : إن اٍ استبطناً قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة

من نزول القرآن { ألم يأن للذين آمنوا } الآية وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي رواد أن أصحاب النبي A ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت هذه الآية { ألم يأن للذين آمنوا } وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس { اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها } قال : يعني أنه يلين القلوب بعد قسوتها وأخرج ابن جرير عن البراء بن عازب سمعت رسول الله ﷺ يقول : [مؤمنوا أمتي شهداء ثم تلا النبي A : { والذين آمنوا بالله } ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم] وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود قال : كل مؤمن صديق وشهيد وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : [إن الرجل ليموت على فراشه وهو شهيد ثم تلا هذه الآية وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة نحوه وأخرج ابن جرير عن ابن عباس { والذين آمنوا بالله } ورسله أولئك هم الصديقون] قال : هذه مفصلة { والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم } [وأخرج ابن حبان عن عمرو بن مرة الجهني : قال [جاء رجل إلى النبي A فقال : يا رسول الله ﷺ أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ﷻ وأنك رسول الله ﷻ وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا ؟ قال : من الصديقين والشهداء]